



محمد عبدالله نور الدين
كاتب وناقد - الإمارات

مَكْرَؤِي

من سلسلة الذاكرة الشعبية لعبدالعزیز المسلم

العين هي أول نافذة على الوجود يرى بها الإنسان الكون، وينعكس العالم الخارجي في داخله من خلالها، فالطفل وإن كانت أبعاد نظر محدودة، إلا أنها تتوسع شيئاً فشيئاً حتى يرى مساحات شاسعة، خصوصاً بعد أن يتحرك على البسيطة، مسكتشفاً العالم الذي يعيش فيه، وفي التراث اهتمام خاص بتحويل العين، سواء عند الطفل أو المرأة أو حتى الشباب والكبار، إلا أن اكتحال الفتاة وهي على مشارف الزواج له عمق وجداني قبل البعد الجمالي؛ لأنها تنتقل من مرحلة الحياة الفردية البريئة إلى مرحلة تحقيق الذات والحياة المشتركة المتكاملة، وكأنها ترسم بالمرود قصة حياة جديدة، ملؤها الحب والأمل والطموح. وأتساءل هنا «هل يوجد عضو يمثل الجمال الظاهري مثل العين؟».





و«مراود» جمع، والمفرد «مرود» وهو الميل الذي يُكتحل به، وحينما ترد المفردة تحرك في الأذهان دلالات كثيرة، من أهمها الجمال والثقة في النفس والحذر، فالمرود أداة لتجميل العين، ويصنع من مواد أولية عديدة مثل العاج والصدف والخشب والزجاج أو المعادن كالحديد والنحاس والذهب والفضة، وكل هذه الخيارات تدل على الوضع الاقتصادي للأسرة، وما يتوافر في المجتمع.

ولعل «مراود»، وهو كتاب صغير في الحجم عميق في فكرته للباحث عبدالعزيز عبدالرحمن المسلم، كان ولا يزال ملهماً لنا؛ لأن نكل أعيننا بشي جميل من تراثنا، كما يقول الباحث في الغلاف الخلفي. فعبارة «كحل به عينك» في تراثنا كناية معناها أن تستمتع بالنظر إلى الشيء أيضاً، ومنه جاء عنوان الكتاب، ولاحقاً عنوان مجلتنا البديعة، فالكتاب الصادر في منتصف سبتمبر 2002 أي قبل أكثر من عشرين عاماً كان بجهد فردي بعيداً عن البحث عن ناشر حكومي أو محلي، وضمن سلسلة من الذاكرة الشعبية الذي تبنها الكاتب، وأمن بفكرة الحفاظ على التراث، وجعله مستمراً في الحياة، من خلال تقريبه إلى مجتمع يتمدّن بسرعة، ويواجه عصر العولمة وتمازج الحضارات، ما يشكل خطراً على هوية إنسان هذه الأرض، حيث يقول قبل بداية الكتاب إنه «جهد لا أدعي السبق فيه ولا الريادة، ولكنها مسؤوليتي التي أحببتها وتحملت عناءها»، فالكتاب في نظره «لا يعتبر بديلاً عن المراجع والمصادر المتخصصة والمتعمقة في الموضوعات التي ذكرها بين ثنايا صفحاته، ولكنها ملامح مقتضبة، وفي المقدمة يقول: إن هدفه التأصيل والإدامة، رغم قلة الكوادر والإمكانات، وإن إصداراته بمثابة الوجبات الصحية الخفيفة، إن لم تنفع فإنها لن تضر؛ ولكن المؤلف أثبت خلال العشرين سنة الماضية أنه ماض في طريق يعرف أين وجهته ومقدار مسؤوليته.

فالكتاب بحجمه الصغير الذي تستطيع أن تمسكه بكف يد واحدة، قريب إلى النفس، ولا يصدمك بثقل المعلومات التي يحتويها، ولا ينفر الناس من قراءته، فعلى الرغم أن عدد صفحاته لا يتجاوز 140 صفحة، إلا أنه قدم 444 فائدة على الأقل من خلال 444 سؤالاً



طرح في الكتاب، فالسؤال عملية إنعاش للذاكرة، ووسيلة مثلى لترسيخ المعلومة والحفاظ عليها؛ لذلك جاء أسلوب الكتاب في محله، يتناوله الصغار والكبار، ويستفيدون من معلوماته التراثية المتنوعة بكل يسر وسهولة، ويرسخ في النفوس أن التراث وسيلة إمتاع وبهجة، ويحفز الإنسان على التعلم والمنافسة على حفظ التراث، ولعل هناك سياقات أخرى يمضي فيه هذا الكتاب جدير بالاستفادة منها.

يتصدر الغلاف الأمامي صورة فوتوغرافية لـ «صراري» بعدسة الفنان المبدع يوسف العدان، والصراري هو السراج المعروف، ويصنع سابقاً باستخدام قنينة تملأ بالغاز وتسد بالتمرة، بعد أن يتصل حبل من خلالها من داخل القنينة إلى خارجها، ويحال صورة «المروود» إلى الغلاف الخلفي، ولعل هذه محاولة من الكاتب لتحريك علامة استفهام في أذهاننا، كما يفعل في داخل الكتاب، إذ إن الأسئلة معزولة عن أجوبتها، ولا أظن أن اختيار «الصراري» في غلاف الكتاب الأمامي جاء مصادفة، ولعله إشارة إلى الابتكار، وإلى إشعال طريق الحركة أي إضاءة النور أمام العين نحو المعلومات المفقودة في ذهن المتلقي حتى الوصول إلى المروود الذي تكحل به العين في نهاية الكتاب؛ أي صورة الغلاف الخلفي، وهناك تتحل العيون بالمتعة المنشودة - كناية كما ذكرنا آنفاً - والتي حققها

الكتاب من خلال إنعاش الذاكرة بالمعلومات التراثية المميزة.

وأما محتوى الكتاب، فإنه ينقسم إلى أربعة أقسام رئيسية، ففي القسم الأول الأمثال الشعبية، وهذا القسم أورد فيه الباحث 35 مثلاً شعبياً ناقصاً يتوجب



على القارئ تذكر تكملة المثل.

كالأمثلة الآتية:

«البيت بيتك والمسجد...»؟

وجوابه: «أدفا لك».

أو «بشرني بولد قلت بشرني».

وجوابه «بجار».

وأما القسم الثاني فأورد فيه الباحث 51 لغزاً شعبيّاً،

يتوجب على القارئ أن يحل الألغاز، وعلى سبيل المثال:

«غنم سود في البطحا رقود إذا اهتز العود زادوا الغنم

سود»

وجوابه: «القلم عند الكتابة».

أو المثال التالي:

«معكوف ياكل ولا يشوف».

وجوابه: «الداس؛ أي المنجل».

وفي القسم الثالث من الكتاب نجد المعضلات اللسانية،

وفيه 20 معضلة لسانية يتوجب على القارئ أن يعيد

جملة عصية على اللفظ لخمس مرات دون أن يخطئ

في النطق، مثل أن تقول:

«نحّي منشور ألقط واقرض».

أو أن تقول خمس مرات:

«هرمة حمرا».

وفي القسم الرابع 300 سؤال وخيارات في الإجابة

يتوجب على القارئ أن يختار أحد الخيارات المتاحة، ومن

الأسئلة:

بيّانة هي: «(لؤلؤة - منطقة - المطر الغزير)»

والصحيح هي منطقة.

أو السؤال التالي:

«موزة: (فاكهة- لؤلؤة- غزالة صغيرة)»

والصحيح هي: «لؤلؤة»

وأما آخر أقسام الكتاب فخصص للشعر الشعبي، وفيه

38 سؤالاً عن معنى مفردة وردت في أبيات أو عن قائل

بيت مشهور من الأبيات فعلى سبيل المثال نجد:

«خدّج خدك اللي كالسفرجل سفر بدر وسفر شمس وسفر جل»

ما معنى كلمة خدّج (الفتاة الجميلة - الخد الممتلئ

-الجبين)؟

والإجابة هي: «الخد الممتلئ».

وسؤال آخر عن قائل الأبيات التالية:

ما تزهى الدلة بلا قناد ولا تنفع الدعوى بلا شهود

ولا يدخل المحمل بلا سناد ما بين فشت وموي وحدود

والخيارات هي: (راشد الخضر - غيث القبيسي - ماجد

النعيمي)

والخيار الأخير هو الصحيح أي أن قائل الأبيات هو

الشاعر ماجد بن علي النعيمي.

وعلى ذلك فإن هذا الكتاب الصغير في حجمه، يلخص

لنا توجه الباحث إلى نقاط مهمة عدة، هي 1. أهمية

تبسيط عرض المواد التراثية. 2. اختيار الأسلوب الشائق

وتحقيق المتعة في تناول الموضوعات التراثية.

3. التحفيز على تعلّم وحفظ التراث، وأخيراً الإصرار

والمثابرة في هذا الطريق، حيث إنه استطاع أن يوصل

كمّاً كبيراً من المعلومات، ومن شتى الموضوعات

التراثية بإمكانات متواضعة، حتى أصبح اليوم قدوة

ورمزاً مهماً من رموز التراث الوطني في دولة الإمارات

العربية المتحدة، من خلال إدارته دفعة سفينة عملاقة،

تتمثل في معهد الشارقة للتراث، محافظاً على إرث

الآباء والأجداد، بأحدث الطرق والممارسات العالمية.